

الدرس الثالث عشر بعد الثلاثمائة

[سورة الفلق]

مكية ، وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5) ﴾ .

[سورة الناس]

مكية ، وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6) ﴾ .

عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهنّ قطّ ؟ ﴾ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿ و ﴾ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿ . رواه مسلم وغيره . وفي رواية لأحمد : بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نعب من تلك النقاب ، إذ قال لي : « يا عقبة ألا تركب » ؟ قال : فأشفقت أن تكون معصية ، فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيئة ثم قال : « يا عقبة ، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس » ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأقراني : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ؛ ثم أقيمت الصلاة فتقدم

رسول الله ﷺ فقرأ بهما ، ثم مرّ بي فقال : « كيف رأيت يا عقبة ؟ اقرأ بهما كلّما نمت وكلّما قمت » .

وفي رواية : (أمرني رسول الله ﷺ : أن أقرأ بالمعوذات في دبر كلّ صلاة) .
وللنسائي : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ » .
وروى الترمذي وغيره عن أبي سعيد : (أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجانّ ، وأعين الإنسان ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما) .

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5) ﴾ .

عن الحسن في هذه الآية : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، قال : الفلق الصبح . ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ، قال ابن كثير : أي : من شرّ جميع المخلوقات . ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ، قال الحسن : أول الليل إذا أظلم . ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ ، قال : السواحر ، والسحرة . ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ، قال قتادة : من شرّ عينه ونفسه . وعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ سحر ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان : وهذا أشدّ ما يكون من السحر إذا كان كذا - فقال : « يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته ؟ أتاني رجلان فقعدا أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبّه ؟ قال : لبيد بن الأعصم - رجل من بني زريق حليف لليهود كان منافقاً - وقال : وفيم ؟ قال : في مشط ومشاطة . قال : وأين ؟ قال : في جفّ طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان » . قالت : فأتى البئر حتى استخرجه ، فقال : « هذه البئر التي أُرِيْتُهَا » . وكأن ماءها نقاعة الحناء ، كأن نخلها رؤوس الشياطين . قال : فاستخرج . فقالت : أفلا تنشّرت ؟ وفي رواية لمسلم : أفلا أحرقتة ؟

- قال القرطبي : يعني لبيد - فقال : « أمّا الله فقد شفاني ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرّاً » . رواه البخاري .

وروى البغوي عن زيد بن أرقم قال : (سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً ، فأتاه جبريل فقال : إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً ، فأرسل رسول الله ﷺ عليّاً فاستخرجها فجاء بها ، فجعل كلّمها حلّ عقدة وجد لذلك خفة ، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال ؛ فما ذكر لليهودي ولا رآه في وجهه قطّ) . قال مقاتل والكلبي : كان في وتد عقد عليه إحدى عشرة عقدة ؛ وقيل : كانت العقد مقرونة بالإبر ، فأنزل الله هاتين السورتين ، وهي إحدى عشرة آية ، كلّمها قرأ آية انحلت عقدة ، حتى انحلت العقد كلّها ، فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال .

وساق بسنده عن أبي سعيد أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال : (يا محمد اشتكيت ؟ قال : « نعم » . قال : بسم الله أرقيك ، من كلّ شيء يؤذيك ، من شرّ كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، بسم الله أرقيك) .

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6) ﴾ .

قال ابن كثير : هذه ثلاث صفات من صفات الربّ عزّ وجلّ : الربوبية ، والملك ، والإلهية ، فهو ربّ كلّ شيء ومليكه وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة له ، مملوكة عبيد له ، فأمر المستعبد أن يتعوّذ بالمتّصف بهذه الصفات من شرّ الوسواس الخنّاس وهو : الشيطان الموكل بالإنسان ، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزيّن له الفواحش ولا يألوه جهداً في الخبال ، والمعصوم من عصمه الله .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ، قال : (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس) . وقال قتادة : يعني : الشيطان يوسوس في صدر ابن آدم ويخنس إذا ذكر الله .

قال البغوي : ﴿ الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع . ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ ، يعني : يدخل في الجني كما يدخل في الإنسي ، ويوسوس الجني كما يوسوس الإنسي . قال الكلبي وقوله : ﴿ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ أراد بالناس ما ذكر من بعد ، وهو : الجنة والناس ، فسَمِيَ الجن ناسًا رجالاً فقال : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ . وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث : جاء قوم من الجن فوقعوا فقيلاً : من أنتم ؟ قالوا : أناس من الجن . وهذا معنى قول الفراء . قال بعضهم : ثبت أن الوسواس للإنسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان ؛ فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعاً ، كما قال : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ ؛ كأنه أمر أن يستعيز من شرّ الجن والإنس جميعاً . انتهى . وقال بعضهم : فكما أن شيطان الجن يوسوس تارة ويخنس أخرى ، فكذلك شيطان الإنس يرى نفسه كالناصح المشفق .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالشيء لأن أخزّ من السماء أحبّ إليّ من أتكلم به ، فقال النبي ﷺ : « الله أكبر الله أكبر ، والحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة » . رواه أحمد وغيره . والله أعلم .